

Al-mar'a al-yahūdiyya fi Maghrib mā qabl al-ḥimāya

المرأة اليهودية في مغرب ما قبل الحماية

سهام لعسري

باحثة، جامعة محمد الخامس، الرباط

يعتبر موضوع اليهود المغاربة من المواضيع الشائكة التي أسهبت مع ذلك أقلام مغربية وغير مغربية في الكتابة عن تاريخهم في البلدان المجاورة مثل الجزائر وتونس وإسبانيا، وخاصة على مستوى علاقاتهم بالمسلمين.¹ وكما هو معلوم، يمثل يهود المغرب أقلية دينية عاشت بين أغلبية مسلمة في مختلف المدن المغربية، كما عمروا البلاد منذ عهود تعود إلى العصور القديمة أيام الحضارات المتوسطة الكبرى،² فساهموا بنشاط في الحياة الاقتصادية والسياسية، وفي إغناء التراث المغربي بمختلف مكوناته ومرتكزاته.³

وعاش يهود المغرب الذين سمو بـ "أهل الذمة"، قرونا بموجب شروطها المعروفة في التشريعات الإسلامية إلى بداية عهد الحماية الفرنسية سنة 1912، داخل منظومة اجتماعية قائمة الذات، لكنهم تحركوا أيضا بكثير من الدينامية والحيوية جنبا إلى جنب مع العناصر الأمازيغية والعربية، وعمروا مختلف أنحاء البلاد وفي

1. انظر عن هذه الدراسات المتعلقة بتاريخ اليهود في المغرب والبلاد المغاربية والأندلس عبر مختلف العصور في المجموعات الجغرافية التالية:

Arrik Delouya, *Les juifs du Maroc: bibliographie générale: résumés, annotations, recensions* (Paris: Librairie orientaliste Paul Geuthner, 2001); *Les Juifs du Maghreb et d'Al-Andalus*. Bibliographie. Préface Frédéric Abécassis et Karima Dirèche Mars 2010. Bibliographie publiée à l'occasion de la tenue du colloque internationale Migrations, identité et modernité au Maghreb à Essaouira, les 17-20 mars 2010. Disponible en pdf dans: <http://bibmed.mmsh.univ-aix.fr> 2

2. انظر ما يلي:

J. Goulven, "Notes sur les origines anciennes des israélites du Maroc," *Hespéris*, I (1921): 315-336; وانظر أيضا محمد كنيب، *يهود المغرب 1912-1948*، ترجمة إدريس بنسعيد، (الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1998)، 17؛ جرمان عياش، "الأقلية اليهودية في مغرب ما قبل الاستعمار"، تعريب: محمد الأمين البراز وعبد العزيز التمساني خلو، دار النيابة 12 (1986): 7؛ وانظر أيضا:

Eisenbeth, Maurice, *Les juifs de l'Afrique du Nord: démographie et onomastique* (Algèr: Impr. du Lycée, 1936).

3. وهو ما أكدته كتابات حاييم الزعفراني بقوة، وقد اعتمدها بصفة أساسية في هذه الدراسة.

جميع الاتجاهات. وتؤكد جل الدراسات أن يهود المغرب يتجاوزون من حيث العدد كل يهود العالم العربي، وإن ظل حجمهم الديموغرافي الإجمالي ضعيفا، إذ لم يتجاوز في الغالب 3% من مجموع سكان البلاد، واستقرت الأغلبية بالحواضر الكبرى، بينما اختار بعضها الآخر العيش في المناطق الجبلية والناحية⁴.

وتعايشت في المغرب ثلاث تيارات اجتماعية يهودية؛ أولاها الطوائف اليهودية عربية اللسان التي تضم غالبا أحفاد المهاجرين من الأندلس قبل الطرد الجماعي في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، بالإضافة إلى اليهود المحليين، وتنتشر هذه المجموعة وسط المغرب جبالا وسهولا، ويستعملون إلى جانب العربية لهجات محلية واللغة العربية-اليهودية؛ والثانية وهم اليهود الناطقون بالأمازيغية ممن استوطنوا المناطق الجنوبية في أعالي جبال الأطلس ومنطقة سوس، إلى درجة اشتراكهم مع السكان المسلمين نفس الموروث الشعبي. وفي هذا الصدد، أكدت أغلب الدراسات، أن اليهود المقيمين في مناطق مثل "تنغير ونواحي تزنيث وورزازات ودمنات والأطلس المتوسط..." كانوا يتكلمون اللهجة الأمازيغية-العربية، وقليل منهم لا يعرفون إلا الأمازيغية؛ والثالثة وهي مجموعة اليهود الناطقين بالإسبانية، وهم فئة المهاجرين من الأندلس (الميكروشيم)، الذين استقروا بصفة نهائية في شمال المغرب والأراضي الساحلية، فاحتفظوا باللغة القشتالية القديمة للتواصل بينهم⁵. ومع ذلك، ظلت اللغة العبرية هي أداة التواصل الأساسية في ممارسة الشعائر الدينية والتعليم لكل يهود العالم وليس في المغرب فقط.

وعلى العموم، لعب اليهود إلى حدود القرن التاسع عشر، أدوارا طلائعية في مجالات شتى، وخصوصا في مجال المال والأعمال والحرف، فصاروا بذلك عنصرا فاعلا في بنية المجتمع المغربي لا غنى عنه، كما ساهموا بدورهم في إثراء

4. انظر ما يلي:

Harvey Goldberg, "The Mellahs of Southern Morocco: Report of a Survey," *The Maghreb Review*, vol. 8, n° 3-4 (1983): 61-69; Pierre Flamand, "Quelques renseignements statistiques sur la population israélite du Sud marocain," *Hespéris* XXXVII (1950): 363-397; Simon Lévy, "Le peuplement juif d'Essaouira et son parler," in:

الصويرة: الحاضر وبصمات الذاكرة، 51-59، (أكادير، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1994).

5. انظر ما يلي:

Daniel J. Schroeter, "La découverte des Juifs berbères," in *Relations judéo-musulmanes au Maroc: perceptions et réalités* (Paris: Éditions Stavit, 1997), 169-187.

الثقافة الشعبية سواء في المدن أو البوادي. إلا أن أغلب الدراسات التي عاجلت موضوع اليهود المغاربة كملف تاريخي واسع وبكل تعقيداته، قد انصبت أساسا على الاهتمام بدور اليهود التاريخي ومكانتهم في مجالي السياسة أو الاقتصاد، بينما ظل الجانب الاجتماعي برمته أقل حظا من الدراسة. وإذا كانت هناك بعض الدراسات الأنثربولوجية قد اهتمت بدراسة المحيط الثقافي لهذه الأقلية، فغالبا ما يلاحظ ضعف الاهتمام بالعنصر النسوي في طيات هذا التاريخ العريض، ومن هنا ضرورة التساؤل في هذه المساهمة عن دور المرأة اليهودية ومكانتها في الحياة الاجتماعية لهذه الأقلية إلى حدود سنة 1912، تاريخ إقرار نظام الحماية وفرضه على المغرب؟

ويحق التساؤل أيضا، هل يعود تغيب العنصر النسوي في أغلب المصادر التاريخية والدراسات الأنثربولوجية إلى تراكمات متصلة بتاريخ اليهود الطويل؟ أم أنه يعود إلى خلفية دينية فرضتها تعاليم التلمود والشعائر الاسرائيلية القديمة؟ أم أن السبب في ذلك هو طبيعة العادات والتقاليد الموجودة في الوسط الاجتماعي المغربي ذاته؟

وتعتبر مقارنة المرأة المغربية اليهودية والمسلمة من حيث مسارهما في مجتمع ذكوري⁶ بامتياز، من الأمور المغرية للباحث، بحكم الدور الأساسي الذي اضطلعت به المرأة اليهودية المغربية خاصة والمغربية بوجه عام⁷ في بناء المكون الثقافي اليهودي

6. انظر ما كتبه بورديو عن موضوع الهيمنة الذكورية في المجتمع:

Pierre Bourdieu, "La domination masculine," in *Actes de la recherche en sciences sociales*, 84, 1 (1990): 2-31.

7. انظر الدراسات التالية المتعلقة بالنوع عند اليهود السفراد في الشرق الأوسط والبلاد المتوسطية:

Joëlle Balhoul, "The Sephardic Jew as Mediterranean: A view from kinship and gender," in *Journal of Mediterranean Studies* 4 (1994): 197-207; Rachel Simon, "Between the family and the outside world. Jewish girls in the modern Middle East and North Africa," in *Jewish Social Studies* n° 7.1 (2000): 81-108; Ephraim Hazan, "L'image de la femme dans la poésie hébraïque d'Afrique du Nord," 467-477, in *Présence juive au Maghreb: hommage à Haïm Zafrani* [Abitbol Michel, Ayoun Richard, Bouganim Ali, et al.]; éd. par Nicole S. Serfaty.

وانظر أيضا الدراسات التي تم إنجازها عن تطور أوضاع المرأة اليهودية في المغرب على عهد الحماية الفرنسية والسنوات الأولى من الاستقلال:

Elie Malka, *Essai sur la condition juridique de la femme juive au Maroc* (Paris: Libr. générale de droit et de jurisprudence, 1952); Doris Donath, *L'Evolution de la femme israélite à Fès* (Aix-en-Provence: Publications des Annales de la Faculté des lettres, Aix-en-Provence, la pensée Universitaire, Travaux et Mémoires, 1962), 268 p; Korosec-Serfaty, Perla "Cotoiements, offenses et évitements: pratiques féminines juives des espaces publics au Maroc," 111-118, in *Espaces publics*, =

للطائفة اليهودية المغربية الذي صار في نهاية المطاف تراثا مغربيا محضا يعطي صورة واضحة عن هوية اليهود بصفة عامة والنساء منهن بصفة خاصة عبر الزمن، ويرسم تراكمات ثقافية خلفتها ألفي سنة من عادات وتقاليد، امتزج فيها التراث العبري بالثقافة المغربية العربية الأمازيغية، وهذه خاصية ربما تميز بها يهود المغرب عما سواهم من إخوانهم في الدين في باقي أرجاء البلدان العربية، إن لم نقل الأوروبية.

لقد تعددت وجهات نظر فقهاء التلمود حول دور المرأة في المجتمع اليهودي، فأجمعوا على أنها معفاة أساسا من التعليم والخدمة الدينية والمشاركة في القداس، وأن مهمتها في الحياة هي تربيتها إلى غاية تزويجها، وغالبا ما يقع ذلك مبكرا بين العاشرة والثانية عشر في الوسط العائلي عبر وساطة النساء الاخريات. وبذلك فإنها لا تعرف الكتابة ولا القراءة، إلا في حالات نادرة وخصوصا في نهاية القرن التاسع عشر مع دخول الرابطة اليهودية إلى المغرب،⁸ وبذلك ينحصر دورها في السهر على تدابير البيت والاعتناء به والعمل على احترام الشرائع والتقاليد. بل إنها تتحمل لمفردها أعباء تطبيق أكبر قسط من التعاليم والمبادئ المتعلقة مثلا بطقوس السبت أو الشبات الأسبوعي، فضلا عن بقية الأعياد الكبيرة. ولا تمنع المرأة اليهودية المغربية بتاتا من ممارسة عمل معين، من المستحسن أن يكون منزليا مثل الخياطة والطرز (إعداد الملابس، الطرز بخيط الذهب والفضة...) وهناك فئات أخرى اشتغلن مغنيات للموشحات والملحون، وأخريات ممتهنت لتلاوة الحكايات، وغالبا ما يشتغلن هذين الصنفين في الأعراس والمناسبات العائلية، بالإضافة إلى مهنة النواديات والنائحات للسهر في المآثم، أو الخطابات التي تتوسط في عمليات

=*paroles publiques au Maghreb et au Machrek*/sous la dir. d'Hannah Davis Taieb, Rabia Bekkar, Jean-Claude David Lyon: Maison de l'Orient méditerranéen, 1997); Yedida Kalfon Stillman, "Attitudes des femmes musulmanes et juives marocaines à l'égard de la féminité et de la modernité, in Relations judéo-musulmanes au Maroc: perceptions et réalités," 237-246: [actes] du colloque tenu en octobre 1995/organisé par le Centre international de recherche sur les juifs du Maroc; dir. par Michel Abitbol (Paris: Éditions Stavit, 1997).

8. يمكن الاطلاع على محتوى المحاضرة التي ألقاها الخبر شمويل طوليدانو في الأيام الدراسية الخاصة باليهودية المغربية وتحدث فيها عن الحالة النموذجية لزوجات الربى ثنان يوفي من مدينة صفرو التي لم يسبق لها أن وضعت رجلها بتاتا خارج البيت:

Shmuel Toledano "La femme juive marocaine, vecteur de transmission," (53 min), dans le cadre des Journées du Judaïsme Marocain-Hommage aux Maîtres du Judaïsme Marocain organisées du dimanche 3 février au dimanche 17 février 2008 par le Centre Communautaire de Paris et le Centre du judaïsme marocain-France. Voir http://www.akadem.org/sommaire/colloques/hommage-aux-maitres-du-judaïsme-marocain/la-femme-juive-marocaine-vecteur-de-transmission-27-03-2008-7235_4176.php.

الزواج، أو القابلات أثناء الولادة.⁹

ونشير بعجالة إلى أسماء بعض نساء المغرب اليهوديات التي كانت متداولة وذات البعد الثقافي، وتتجلى فيها درجة من المثاقفة بين عناصر المجتمع المغربية، وتنقسم الأسماء إلى ثلاثة أنواع،¹⁰ دون ذكر الأسماء العبرية، ونجد اللاتينية منها وخاصة ذات الأصول الموريسكية الإيبيرية مثل: ألبا، كلارا، فرانس، استرلا، ليندا... والعربية مثل عزيزة وفريجة ومريم ويمنا ومسعودة ومليحة. أما النوع الثالث فهي الأسماء ذات الأصول الأمازيغية مثل إطو وطامو، ورقوس وإزا. وتكمن أهمية الأسماء الشخصية عند اليهود خصوصا أسماء النساء التي يشار لها أثناء مراسم الدفن دون اسم الأب وفي كتابة التائم وما إلى ذلك.

وعند الحديث عن أهمية المرأة اليهودية في مغرب ما قبل الحماية، لا بد من وضعها في سياق العادات والتقاليد والطقوس الاحتفالية التي برزت فيها بوضوح كبير، إذ كانت مشاركتها فيها ركيزة أساسية وضرورية للقيام بها واستكمالها على أكمل وجه، ونبدأ هنا بتسليط الضوء عن مكانة المرأة اليهودية ودورها الأساسي في إجراءات الأحوال الشخصية، من الخطوبة إلى الزواج، ومرورا بإجراءات الطلاق، فضلا عن طقوس الحمل والولادة والعقيقة، وهي عادات وتقاليد مارستها النساء اليهوديات في أرض المغرب، فكان منها ما وقع اقتباسه من أسفار العهد القديم، ومنها ما هو تقليد امتزج بالعرف المغربي الإسلامي، ومن ثم لم تعرفها المجتمعات اليهودية الأخرى غير المغربية.

مؤسسة الزواج ومكانة المرأة اليهودية

اهتمت البحوث الأنثروبولوجية بدراسة المجتمعات اليهودية عن قرب، حيث عاين كثير من الأنثروبولوجيين طقوس الاحتفال بالزواج اليهودي، فأبدوا ملاحظات دقيقة تجعل منها وثيقة حية عن أقلية يهودية تأتي لها العيش ردها من الزمن مع جيرانها المسلمين، ومزجت في عاداتها وتقاليدها بين النمط العبري والمغربي، وخلقت بذلك تراثا غنيا يشمل الثقافة العربية والأندلسية والأمازيغية.

9. حاييم الزعفراني، ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب تاريخ ثقافة دين، ترجمة أحمد شحلان وعبد الغني أبو العزم (الدار البيضاء: دار قرطبة، 1987)، 70.

10. الزعفراني، نفسه، 32.

وقد أحاطت الشريعة التلمودية اليهودية الزواج بهالة من القداسة، باعتباره المؤسسة الأولى التي ينشأ في إطارها الأبناء بغية تكوين جيل صالح، وتحافظ على تعاليم الشرائع اليهودية، ومن ثم فإن طقوس الزواج اليهودي في غاية التعقيد، ومنها ما هو متعلق مباشرة بالدين، ومنها ما يرتبط أيضا بالحالة النفسية وبقوة بالمتخيل الشعبي.¹¹ وهذا فضلا عن أنه يمثل حلقة ذات إشكالية أكثر تعقيدا في القانون الإسرائيلي، باعتباره شرطا أساسيا لا بد منه، في دورة الحياة عند الرجل والمرأة على حد سواء.

وعادة ما تستهل مراسم الزواج اليهودي يوم السبت، فيسمى "سبت الرشيم"، وهو يوم خطوبة رسمية يقام فيها حفل بسيط لا يخلو من رمزية،¹² ويعتبر خطوة أساسية في مشروع الزواج تساعد في تقدمه ونجاحه،¹³ إذ تلتقي فيه العائلتان للاتفاق على تحضيرات الزفاف، وإنهاء المداومات حول المهر وتحديد أقرب تاريخ ممكن لإقامة العرس.¹⁴ وهذا علما أن العريس لا حق له في اختيار شريكته في الحياة، بل يتولى أمر ذلك والده، وحبذا لو كانت المرشحة للزواج من قريباته أو بنت أصدقائه أو جيرانه الأقربين، وليس من سبيل أمام العريس لإبداء معارضة أو الإعلان عن رفض، ومع ذلك فإن سن الزوجة المرتقبة وهيئتها الخلقية وصفاتها الجسمية وقدراتها العقلية لا بد من أخذها كلها بعين الاعتبار.¹⁵

ويقدم الرجل لخطيبته هدايا الخطبة، وتسمى "سابلونوت" بالعبرية، وتدل على الاحتفاظ بالعهد والالتزام الأبدي، وهي عبارة عن سبعة أساور يرمز بها المدة الأسبوع، ومنديل رأس حريري تغطي به يوم الزفاف، فضلا عن السكر والحناء والحلويات¹⁶ وخاتم الزواج. ويشترط في الخاتم المذكور أن يكون كبير المقاس،

11. انظر عن هذا الموضوع في شقه المتعلق بالتحليل النفسي الذي قد ينحس المغاربة المسلمين واليهود على حد سواء في:
Vincent Crapanzano, "Saints, Jnun, and Dreams: an Essay in Moroccan Ethnopsychology," *Psychiatry* 38 (1975): 145-159.

12. الزعفراني، ألف سنة من حياة اليهود، 77.

13. Bernard Antony, *Histoire des juifs d'Abraham à nos jours* (Paris: Éditions Godefroy de Bouillon, 2007), 357.

14. J. Goulevin, *Les Mellahs de Rabat-Salé* (Paris: Éditions librairie orientaliste Paul Geuthner, 1927), 36.

15. Goulevin, *ibid.*, 35.

16. نفسه.

ومزينا بنقوش رمزية ومرصعا بالجواهر غالي الثمن، فيلبسه الرجل لخطيبته التي تضعه في يدها اليمنى، ويتحتم عليها منذ ذلك الحين ألا تنزعه أبدا، ويردد المقولة الدينية التالية: "تعتبرين زوجتي منذ أن ألبستك الخاتم، وفقا لشريعة موسى وآل إسرائيل".¹⁷ وفي إثر ذلك يتلو الحاخام خطبة قصيرة، يدعو فيها للخطيبين بالزواج الأبدي، ثم يشربان كأسا من النبيذ على إيقاع القصائد التلمودية السبع.¹⁸ ويمنع منعاً تاماً فسخ الخطبة أو إبعاد الخطيب عن خطيبته لأي سبب كان، إلا في حالة واحدة وهي إقدام أحدهما على الإعلان عن اعتناق الإسلام.¹⁹

وقد وصف الفرنسي غولفان عند زيارته لملاح مدينة سلا عند نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، أجواء عرس يهودي وصفا دقيقا، فأثار انتباهه حرص العائلتين على صنع الحلويات والمربى وماء الحياة "الماحيا" على يد نساء المنزل، وتزين أطباق الحلوى بأنواع مختلفة من الفواكه الجافة والأطعمة الحلوة المذاق، والتي توزعها الأم شخصيا على الحضور تيمنا بالبركة مرفقة بكؤوس الشاي المنعنع، فيستمر الحفل على إيقاع الموسيقى العربية وأنغام "المندولين" والعود، ويستمر الغناء إلى وقت متأخر من الليل.²⁰

وتستمر أجواء حفل الزفاف وإيقاعاته إلى شهر واحد كأقصى تقدير، وذلك حسب الثراء المادي للعائلتين، إذ يستهل العرس يوم الأربعاء حيث تعقد "الكتوبة"، وتتم بوجود الربى وحضور شاهدين، فيكتب العقد باللغة الآرامية،²¹ وأقدم فيما يلي نموذجين عن عقد الكتوبة اليهودي في مدينتي الرباط وسلا عن سنتي 1920 و1921:

1. نموذج عقد زواج يهودي في الرباط

"في يوم الجمعة من هذا الشهر سنة 5680 يهودية (1920م) في مدينة الرباط، انعقد هذا الزواج وفقا للطقوس الإسرائيلية، حيث

17. Antony, *Histoire des juifs*, 357.

18. نفسه.

19. Goulevin, *Les Mellahs*, 78. .

20. Ibid., 36-37.

21. Antony, *ibid.*, 357.

تزوج العازب يعقوب بن إسحق بن إبراهيم من مدينة الرباط، بالشابة سارة بنت أبراهام من نفس المدينة بناء على الشروط المذكورة أسفله:

يتعهد السيد يعقوب بن إسحاق بن أبراهام كذا... بالعمل من أجل تمكين زوجته من الطعام والكسوة وإسكانها بما يليق، ولا يتزوج أبدا امرأة أخرى ما دامت هي على قيد الحياة، وألا يرغمها أبدا على مغادرة مدينة الرباط دون رضاها. وقد اعترف السيد يعقوب بن إسحاق كذا، باستلام حوالي 800 فرنك كقيمة للمهر، ويعترف أن في ذمته 500 فرنك كمقابل عن عذريتها، و 500 فرنك عن الحب الذي يكنه إليها.

لذا فإن مستحقات الزوجة الموجودة في ذمته قد بلغت 1.800 فرنك، وفي حال إخلاله بأي من الشروط المذكورة، سيلزم بتسديد مبلغ 1.800 فرنك إلى زوجته، وكل ذلك طبقا لشروط كبار أحبار قشتالة.²²

2. نموذج الكتابة في مدينة سلا:

”فليكن هذا فال خير وبكل السعادة:

”من وجد زوجته فقد وجد كل الخير والنعمة من الله (قول مأثور).

في يوم الأربعاء شهر... سنة 5681 (1921) منذ بدء الخليقة، هنا في مدينة سلا (ثم يذكر اسم العريس واسم أبيه وجده بالإضافة إلى الاسم العائلي) تزوج فلان من (اسم العروس واسم أبيها و...) ويعلم الزوج المذكور لزوجته:

22. Goulevin, *Les Mellahs*, 50: “Vendredi, 8 du mois d’Abraham (où Dieu doit avoir pitié de nous dans ce mois où il est arrivé tant de malheur à Isarël) 5680 (1920) de la création du monde -A Rabat ont contracté mariage conformément au rite israélite, le célibataire Jacob ben Isaac ben Abrahâm X. de la ville de Rabat avec Mademoiselle Sara, fille de Abraham Y de la même localité, aux conditions ci-dessous: “Le sieur Jacob X S’engage à travailler pour nourrir, habiller et loger convenablement sa femme; à n’en épouser aucune autre du vivant de celle-ci, à ne lui faire quitter Rabat qu’avec son assentiment. Monsieur Jacob X reconnaît aussi avoir reçu frs 800 comme dot. “ Il reconnaît devoir à cette demoiselle frs 500 pour sa virginité et frs 500 pour l’amour qu’il manifeste pour elle. Soit au total une dette de frs 1.800 qu’il reconnaît lui devoir. S’il passe outre à l’une des stipulations précitées, il s’oblige à verser à son épouse la somme globale de frs 1.800. Le tout selon les stipulations des grands rabbins de Castille.”

”ستكونين زوجتي وفقا لشرائع موسى وإسرائيل، وأنا بعون الرب سأحبها وأطعمها وأكسوها وأشملها بالعطف والعناية وفقا لما يفعله الإسرائيليون مع زوجاتهم، وسأمنحك 25 إيكو فضية باعتباره حقا شرعيا لها؛“ وتوافق الزوجة المذكورة على عقد قرانها بالزوج المذكور أعلاه. وقد وافق على الرفع من مبلغ 25 إيكو بمقدار 600 دورو، كما سيقدم لها كهدية ما قدره 600 دورو، وأخيرا فقد وافق على جهاز العروس البالغ مقداره 600 دورو. وأقسم الزوج بأن لا يتزوج مرة ثانية إلا إذا كان ذلك موافقا للحالات المسطرة في هذا الباب من قبل أحبار فاس المطرودين من إسبانيا. ”كما يقسم بالألا يرغم زوجته على مرافقته إلا بلاد أخرى.“ وفي حال عدم وفائه بجميع هذه الالتزامات، سيكون عليه القيام بتطليق زوجته مع تسديد ما التزم به معها من مبالغ مالية..“²³

توقيع الموثقين.

وبناء عليه، يقدم العريس مهرا للعروس إلا أنه غير محدد، وتختلف سومته حسب الفتاة البكر التي تكون غالية، ويقل المقابل المادي إذا كانت المرأة المرشحة للزواج مطلقة أو أرملة، فيكون المهر إما أموالا أو حلياً ثمينة من الذهب أو الفضة. وتعتمد بعض الأسر اليهودية الكبيرة أحيانا في مدن سلا والرباط وفاس وتطوان، إلى تدوين مقدار مالي كبير لمهر خيالي في عقد القران من أجل التباهي والتفاخر، إلا أن هذا الأمر ترتبت عنه بعض المشاكل وخصوصا عند نشوب النزاعات التي

23. Goulevin, *Les Mellahs*, 51, Kitiouba de Salé: “Que cela soit de bonne augure et avec félicité! “Celui qui a trouvé une épouse a trouvé le bien ainsi que la grâce de Dieu (les Proverbes). “Le Mercredi du mois de en l’année 5681 (1921) depuis la création du monde, ici dans la ville de Salé, X fils de fils de (Prénom du grand-père) du nom de famille a épousé Y. Fille de fils de etc., etc., et ainsi a déclaré ledit époux à ladite mariée “Tu seras ma femme suivant la Loi de Moïse et d’Israël et moi, avec l’aide de Dieu, je t’aimerai, te nourrirai, t’habillerai et t’entreprendrai suivant l’usage des Israélites qui entourent leur femme d’affection et de considération. Je t’offre 25 écus d’argent qui te reviennent de droit.” “Et la susdite mariée consentit à épouser le susdit mari. Ce dernier a bien voulu élever le montant des 25 écus à la somme de 600 douros. Il lui offre encore à titre de cadeau la somme de 600 douros, enfin il accepte le trousseau de la mariée pour 600 douros. “Le marié jure de n’épouser une deuxième femme que dans les cas prévus par les lois qu’ont établies les Grands Rabbins de Fès expulsés d’Espagne. “Il jure encore de ne pas contraindre son épouse à le suivre dans un autre pays. “S’il ne respecte pas tous ces engagements, il sera tenu de divorcer en payant à sa femme la totalité des sommes dont il s’est obligé envers elle.” “ Le mari a prêté serment et nous a requis comme témoins”.

تؤدي إلى الطلاق، فيصعب معها استخلاص مستحقات الطلاق المشروطة على الزوج. وتنص محتويات الكتوبة على ضرورة احترام واجبات وحقوق الطرفين، فتلمي الزوجة مجموعة من الشروط حفاظا على مكانتها وضمانا لحقوقها نذكر اثنين من أهمها. والشروط الأولى هو منع الزوج من التعدد، وتعتبر هذه الممارسة عادية عند اليهود البلديين، فلا تعدو أن تكون شرطا اختياريا، إذ يمكنهم الزواج بأكثر من امرأة لأسباب مقنعة، مثل العقم أو المرض. في حين، يعتبر التعدد ممنوعا ممنعا باتا عند اليهود المهجرين، ويمثل شرطا إجباريا في النظام القشتالي.²⁴ والشروط الثاني، منع الزوج من الانتقال إلى مدينة أخرى دون رضاها.

وإذا ما وقع نقض لهذه الشروط، يقع التطبيق على التو طبقا للشعائر التلمودية، وبعد قبول الشروط يبرم عقد القران، وعرفت أيضا حالات استثنائية شهدت كتب عقد الزواج أمام سلطة قضائية إسلامية، ليضمن حقوق ابنته خصوصا إذا كان المرشح للزواج غير موثوقا به.

وتخصص العائلة اليوم اللاحق لممارسات سحرية مصحوبة بغناء ورقص لإنجاح هذه الطقوس، التي ليس الهدف منها إلا حماية العروسان الجديدان من الحسد والعين الشريرة، أو بغية إبطال الأعمال السحرية المحتملة للتفريق بينهما، كما تجهز تائم شتى متعددة "الفوائد"، يعتقد أن منها ما يزيل "الثقاف"، وما يساعد المرأة على الحمل ويسر الولادة، وما يمكن من إنجاب المولود الذكر بدلا من الأنثى، وقد تقام هذه الشعائر ذات الطابع السحري، إما في البيعة أو بين جدران بيت الزوجية الجديد.²⁵

وفي اليوم الثالث، يقوم الشوحيط²⁶ بذبح بقرة مزينة بخمار العروس وأنواع من الحلي المعدنية، فيكون الذبح في وسط الدار حيث يقدم العروسان يمينا، وتستعمل لحوم هذه الأضحية في إعداد الطعام الخاص بالعرس.

ويتميز السبت الثاني بإقامة احتفالات من نوع آخر، ويجب التذكير هنا أن مراسم الزفاف تستمر أيام السبت والأعياد وأيام الصوم، إلا أنه لا يتم الاحتفال

24. Ibid., 80.

25. Ibid., 82.

26. الحزان الذي يتولى أمر ذبح القرابين وفقا للمقتضيات الدينية.

فيه نظرا لقدسية هذه الأيام وحرمتها. ويتم جمع أفراد العائلة العزاب واختيار بعضهم كوزراء ووزيرات للعريسين وتقدم لهما مختلف الهدايا، بينما تقوم العائلتان المقربتان بالتداول والتشاور حول مسار حياة الزوجين الجديدين.

أما يوم الإثنين أو "نهار شيفونعا"، وهو يوم خاص بالمصادقة على عقد النكاح من قبل الربّي والخاصام، والذي يتولى تحريره "السوفر"، أي الكاتب،²⁷ في نسختين حتى تسلم الأولى للزوجة والثانية لوالديها، ولا بد من حضور عشرة شهود حتى لا يكون العقد لاغيا.

أما يوم الثلاثاء فهو "نهار الحمام"، ويمثل طقسا خاصا في العرف المحلي والشعائر الدينية على السواء، وخلالها تكسر على رأس العروس بيضة واحدة ومعها سائل الحناء، كما يشد شعرها بمنديل أبيض ويحفظ به إلى ما بعد الظهيرة، فيغسل بماء مزوج بتائم وكأس خمر، ويمشط شعرها وتلبس وتزين بمختلف الحلي، وتتعطر استعدادا لليلة الحناء التي تقام في اليوم نفسه.²⁸

وفي الغد، أي يوم الأربعاء الثاني، وهو ما يسمى بعبارة "النهار الكبير"، يقام حفل الزفاف الرسمي بكل طقوسه من رقص وأهازيج وأغاني للإعلان والإشهار، وفيه تلتحق الزوجة ببيت الزوجية، فيستهل العرس بقراءة الخبر لنص الكتوبة، بعد إعادة كتابة محتواه بأسلوب جميل ومزخرف، ثم يتلو البركات السبع أحد أفراد العائلة أمام الحضور، ويقدم كأسان من النبيذ للعريسان، ويكسران القدحين تذكيرا بتخريب هيكل القدس. وقبل خروج العروس، تدور في بيت أبيها سبع مرات، ثم تركب على متن فرس أو حمار في موكب من الحضور باتجاه بيت الزوجية. وتجدر الإشارة أن الزوجان يلزمان بالصوم في هذا اليوم، ولا يفطران إلا عند حلول المساء بوجبة شعائرية تتكون من الحمام المحشي باللوز والزبيب.

وفي اليوم التالي، وهو "نهار الصبوح"، يقدم أفراد العائلتين هدايا نقدية للزوجان بعد تناولهما وجبة الفطور، ويلزمان بعدم الخروج من عش الزوجية حتى حلول اليوم السابع، ويسمى "نهار الحوت"، حيث يخرج الزوج وخلانه العزاب لصيد السمك، لإقامة حفل صغير بين أفراد العائلتين.

27. وهم مساعدون قضائيون وكتاب العدل الموثقون، وتمثل مهمتهم الرئيسية في النيابة عن القضاة في تحرير العقود القضائية وتوقيعها، شريطة الإمام بحثيات التشريع والإجراءات القانونية المتعلقة بأحكام الزواج.

28. Goulevin, Ibid., 84-85.

وفي الأخير، تستحم الزوجة بحمام شعائري بعد الزواج، فتسمى "تونابودا"، ويكون هذا اليوم آخر حلقة من حلقات الزواج اليهودي الأسطوري.

أما عن حالات الزواج خارج الملة اليهودية، فإنه غير مرغوب بتاتا من قبل الطائفة اليهودية، ولا يحظى بمباركة الخبر الأعظم، ويعتبر أكبر الأخطاء الروحية على الإطلاق، وحتى في حال المصادقة على الزواج، يحرم الأطفال من كافة الحقوق العامة والخاصة التي تمنحها لهم الشريعة في حالة الزواج الشرعي والعادي بين اليهود.²⁹

وفي إطار الحديث عن الزواج، يوجد قانون يهودي خاص، يسمى بالعربية قانون "السلفة" وبالعبرية "ليفيرا"، ويخص النساء الأامل، حيث تنص التوراة على زواج الأخ بزوجة أخيه الهاالك إذا لم يكن لها أبناء، حفاظا على بيت أخيه، وإذا رفض الرجل المعني بهذا القانون (لأنه ليس إجباريا)، تطبق في حقه "الحاليسا" أو "إزالة الحذاء"، وهو إجراء شكلي مستمد من التعاليم التوراتية، الغاية منه إهانة الرجل المعني بهذا الرفض، فتبادر الأرملة إلى نزع حذائه والبصق على وجهه، وهي تصيح: "هكذا يُصنع بالرجل الذي لا يبني بيت أخيه"، ويقع كل هذا أمام السلطة القضائية والشيخ، ويدعى منذ ذلك اليوم عند بني إسرائيل ببيت الرجل المخلوع النعل.³⁰

الطلاق وحقوق المرأة اليهودية

انتشر الطلاق في صفوف الأسر اليهودية نتيجة لانعدام الاستقرار داخل النسق الاجتماعي بالملاح،³¹ ويتم اعتبار الطلاق ابتداء من نقض عهود الكتوبة، حيث تتصرف فيه السلطة الدينية كما في كل العلاقات والأحوال الشخصية اليهودية، علما أن للرجل قوة احتكارية في هذا الشأن، منحت له هذه الهيمنة من طرف التشريع التلمودي، حيث يسمح له وحده بالتحكم في التطلق، وليس للمرأة هذا الحق.³²

29. Antony, Ibid., 358.

30. Goulevin, Ibid., 92.

31. عبد العزيز سعود، تطوان في القرن الثامن عشر السلطة المجتمع الدين، 267.

32. الزعفراني، ألف سنة من حياة اليهود، 91.

عموما يتم التطليق بين الزوجين، بالنظر لعدة اعتبارات:

- العقم وهو السبب الأول والأكثر انتشارا، حيث تمنح العائلة للزوجة مهلة للتأكد من قدرتها على الإنجاب تتراوح بين 5 و 10 سنوات، وبعدها يقتضي الأمر زواج الرجل مرة ثانية، الأمر الذي لا يروق الزوجة المعنية فتطالب في الحين بالطلاق، لاشتراطها في كتوبة الزواج "عدم التعدد"، وفي حالات أخرى يحصل التطليق بمجرد ما يتأكد عقم المرأة.

- اعتناق أحد الزوجين الدين الإسلامي كسبب في غاية الأهمية، حيث يقع التطليق في إثره مباشرة. ولا تقف تبعات اعتناق الدين الجديد عند هذا الحد، بل يعتبر المعني بأمره ميتا في وسطه العائلي، فلا تقام له مراسيم تأبين شعائرية يوم جنازته، إنما يحتفل أهله وأصدقائه ويرتدون اللباس الأبيض، ويقيمون مكانه حفلا يشربون فيه النبيذ احتفاء بموت عدو من أعداء الله، وحتى نصيبه من الإرث يقع تحويله إلى أحد أقربائه.³³

- الخيانة الزوجية التي قد يتسبب اقترافها في اندلاع النيران داخل الوسط العائلي، كما تثير حفيظة السلطات الدينية في آن واحد، وبعد التطليق تصبح المرأة محرمة على طليقها إلى الأبد، كما تحرم أيضا على العاشق، ويهددان بالنبد من الديانة اليهودية إذا ما فكرا في الاتصال ببعضهما من جديد. وجاء في إحدى فتاوى القرن الثامن عشر ما يفيد بوجود حالات خادشة للحياء، وبتفشي أعمال الفجور وانتشار الخيانة الزوجية والزنا في الوسط اليهودي: "زنت امرأة إبان انتشار المجاعة بتطوان مع أحد الأغيار، فولدت بنتا ادعتها عائلة هذا الأخير لتقوم بتربيتها على سنة الإسلام."³⁴

- الامتناع عن المعاشرة الزوجية، ومغادرتها بيت الزوجية أو اختلاق حجج أو مشاكل تؤدي إلى الغيار والنزاعات التي يصعب معها العيش في هناء.

- رفض الزوجة السفر مع الزوج إلى مدينة أخرى بحثا عن لقمة العيش، ونلاحظ تناقضا صارخا في هذا الحكم، حيث تجبر الشريعة الزوج على البقاء في

33. الزعفراني، ألف سنة من حياة اليهود، 93.

34. سعود، تطوان في القرن الثامن عشر، 267.

المدينة، وألا يغادرها إلا بموافقة الزوجة نفسها، غير أن الواقع جردها من هذا الحق باعتباره شرطا من شروط الكتابة عند الزواج.

- إصابة الزوجة بمرض مزمن أو عاهة مستديمة، تعيق استمرارية الزواج على نحو طبيعي.

- عندما يصادف الرجل امرأة أجمل من زوجته، فقد يقوم بتطبيقها مباشرة ليتزوج من الأخرى، ويقع الشيء نفسه إذا تمدت المرأة في إهمال البيت والزوج.

وهناك حالات أخرى، نذكر منها ما يسمى بحالة المرأة "العاگونه"،³⁵ التي يمكن أن تترتب عن سفر الزوج غير المحدد تاريخ رجوعه. ويرتبط هذا الأمر بانعدام الأمن وانتشار أعمال اللصوصية في الطرق،³⁶ مما قد يؤدي إلى اختفاء أخبار الزوج، فتجد الزوجة نفسها في وضعية معلقة، ولذا جرت العادة في حالة عزم الزوج على الغياب بعيدا عن مكان إقامته، أن يسلم زوجته ترخيصا بطلاق مشروط، يمكنها أن تتطلق بموجبه إذا ما تجاوز أمد غيابه مدة معينة، مما قد يتبث وفاته فتصبح بذلك المرأة المعنية مطلقة-أرملة، ولها الحق في الزواج مرة ثانية إذا رغبت في ذلك.

ويخضع الطلاق عند اليهود لعدة إجراءات تستغرق آجالا طويلة وعسيرة، حيث تمنح للزوجين فرصة للتفكير مليا خشية من أن يكون قرار الانفصال لا يخلو من التسرع، أو ربما كان وليد نزاع أو شجار في لحظة غضب. كما تصادف السلطة القضائية "الديانيم" مشاكل شتى في تصفية عقد الكتابة لإلغاء الزواج، سواء كان تابعا للنظام التقليدي أو القشتالي، إذ يحرص القاضي على تحليل نص القران وأخذ الحذر تفاديا لإمكانات الطعن في صحة عقد الطلاق، وتوضيح السبب الحقيقي مع ضرورة الإدلاء بالحجج الصادقة والمقبولة، وتعتبر هذه الإجراءات مهمة

35. وتطلق على الزوجة المرتبطة بزواج غائب اختفى في سفر طويل ويكون غالبا ضحية مغامرة فقد فيها حياته، وظلت حالة العاگونه الناتجة عن موت محتمل وغير مثبت من القضايا الحادة المرتبطة بيهود المغرب.

36. انظر كتابات رحمة بورقية وعبد الأحد السبتي في هذا الموضوع:

Rahma Bourqia, "vol, pillage et banditisme au Maroc du XIX^{ème} siècle," *Hespéris-Tamuda* XXIX 2 (1991): 191-226; Abdelahad Sebti, "Ztata et sécurité du voyage: un thème de pratique judiciaire au Maroc," *Hespéris-Tamuda* XXX (1992): 37-52;

عبد الأحد السبتي، بين الزطاط وقاطع الطريق. أمن الطرق في مغرب ما قبل الاستعمار، (الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، 2009)، 135-33.

جدا، خصوصا إذا أقدمت المرأة على الزواج مجددا، فإن وجود أي خطأ في عقد الطلاق، قد يلغى بموجبه الزواج الثاني ويعتبر الأبناء المنحدرون من هذا الزواج غير شرعيين.³⁷

وتجري مراسم الطلاق في البيعة بحضور الزوجين وشاهدين، ويشرف القاضي "الديانيم" على تنفيذ الإجراءات فيدون وثيقة الطلاق التي تسمى بالعبرية بـ"كت"، إذ يكتب فيها اسم الزوجين ومكان إقامتهما ومستحقات الزوجة، وتسمى "الإبراء"، ويشار إلى تاريخ الطلاق حسب التقويم العبري، ويسلم الرجل نسخة من هذه الوثيقة لمطلقة ويحتفظ بأخرى في حوزته ثم يردد أمام القاضي والشهود العبارة التالية: "استلمي وثيقة طلاقك فأنت طالق وصرت حلا لغيري."³⁸

ولا يجوز زواج المرأة المطلقة إلا بعد انقضاء عدتها التي تستمر ثلاثة أشهر،³⁹ وإذا تمت إجراءات الطلاق فيجب على النساء المقربات للزوجة أن ينتظرنها أمام البيعة، فتسكب إحداهن كأسا من الحليب تيمنا بالسعادة، ولا يجب على المطلقة أن تعود إلى بيت أبيها في ليلة يوم طلاقها تفاديا لنقل عدوى الحظ السيئ لباقي نساء العائلة. أما إذا تبين حمل المطلقة قبل نهاية مدة العدة، فيتحتم على الزوج السابق أن يعيدها إلى ذمته فترجع إلى بيت الزوجية، ماعدا إذا كان سبب الطلاق هو الخيانة الزوجية، لأن الشريعة اليهودية تحرم رد المرأة المقترفة للخيانة إلى بيت الزوجية.

طقوس الولادة في الوسط اليهودي المغربي

يعتبر الميلاد في المجتمع اليهودي المغربي، بداية عن دورة حياة جديدة، تمر من مراسم الحمل والطفولة والمراهقة في إطار التعاليم التلمودية اليهودية، وتمر كل هذه المراحل في هيئة احتفالات ذات طابع ديني.⁴⁰

يهتم اليهود كثيرا بفترة الحمل، فبمجرد سماع العائلتان بنأ حمل العروس، تستهل أجواء الطقوس الاعتيادية الممزوجة بالتقاليد والممارسة السحرية ذات

37. سعود، تطوان في القرن الثامن عشر، 92.

38. عبد الرحمن بشير، اليهود في المغرب العربي، (القاهرة: منشورات عين للدراسات والبحوث الاجتماعية والإنسانية، القاهرة، 2001)، 120-121.

39. لا يجوز للمرأة اليهودية أن تتزوج قبل انقضاء عدتها سواء كانت فتاة أو امرأة أو مسنة وحتى لو لم يتم عليها البناء (الدخول) ولا تختلف أيام العدة سواء كانت بسبب الطلاق أو الوفاة.

40. الزعفراني، ألف سنة من حياة اليهود، 48.

الطابع المحلي والخاص بالمغرب، والمشارك بين يهود العالم كله، خصوصا أن العقم والإجهاض يمثلان لعنة يخشاها اليهود، وكارثة كبيرة قد تهدد استمرار نسلهم باعتبارهم ورثة "شعب الله المختار"، لذا كثيرا ما تتردد في الأوساط اليهودية المقولة الشهيرة: "من لا ولد له، لا حياة له، والمرأة العاقر شجرة ميتة."⁴¹

ولهذه الاعتبارات، فإنه بمجرد ما ينتشر خبر بداية الحمل في الوسط العائلي، حتى تحاط المرأة بهالة من الاحترام، وتحظى بالعناية والاهتمام طوال مدة حملها إلى فترة الوضع، فيشرع في إعداد التمام والطلاسم المسخرة لوقاية الطفل، تسمى "بشميراه" وتعني الحراسة باللغة العبرية. ويعتقد أنها تؤمن حماية الأم وطفلها وإبعاد الشياطين الشريرة والجن عنهما خصوصا الجنية "ليليث" التي يفيد المتخيل الاجتماعي بأنها تقضي على الأطفال حديثي الولادة، والذين لم يتم بعد اختتامهم، أي أنهم لم يدخلوا في عهد إبراهيم بعد.

أما عن طقوس يوم الولادة، فإنها غالبا ما تتم بسرعة دون تعقيدات أو صعوبة كبيرة، حيث تباشر العائلة والجيران القيام بالصلوات وترتيل الأدعية، وإذا كانت الولادة صعبة، يستدعى الحزان أو الربى للقيام بطقوس خاصة تسمى "العقيدة"، وعادة ما تقام في الأوقات الصعبة من حياة الإنسان لإنقاذ حياته من الهلاك. وتتولى القابلة التي يقع اختيارها بناء على خبرتها المكتسبة في هذا المجال، فتباشر القيام بعملية الولادة. وحين يكون المولود ذكرا تحتفظ الأم بمشيمته تيمنا بالبركة والحماية من العين والحسد والأمراض، وخصوصا إذا كان بكرا، فتطلق الزغاريد وتزف البشرى لباقي أفراد العائلة. وتجدر الإشارة إلى رغبة أفراد المجتمع المغربي عامة، واليهودي خاصة، في المولود الذكر الذي ينتظره الجميع بكل شغف، لأنه فرد جوهري يحافظ على استمرار شجرة العائلة، وفي المقابل إذا كان المولود أنثى، فربما استقبلت بشكل طبيعي يخلو من الحماس المفرط في الوسط العائلي.⁴²

وبعد الولادة ينطلق مسلسل من الطقوس الخاصة بهذه المناسبة، وأوها "التحديد"، وأصل الكلمة من الحديد، المعدن الذي لعب دورا مهما في التعبير عن المتخيل الشعبي المحلي المستمد من الثقافة الشعبية المغربية بأبعادها الأمازيغية والعربية. وفي هذا الصدد، فإنه بمجرد ما يعلن الليل عن منتصفه، تقفل الأبواب

41. نفسه.

42. نفسه، 50.

والنوافذ بقضبان حديدية، كي تكون محكمة الإغلاق خصوصا في غرفة الأم، وتوضع أداة حديدية تحت وسادة المولود، وهذه اعتقادات سحرية عميقة تهدف إلى حماية المولود "الذكر" الذي قد يكون عرضة للأذى أكثر من الأنثى، حسب معتقداتهم وخصوصا في الأيام السبع الأولى.⁴³

وتنطلق مراسيم الاحتفال في اليوم التالي، وقد يستمر مدة طويلة بعد الافتتاح بقراءة الكتاب المقدس، ثم تبدأ النساء في الغناء بترديد عدة أهزيج عبرية-عربية، فتكرم فيها القابلة اعترافا لها بالنجاح في مهمتها، وهذا نموذج لكلمات بعض الأغاني التي تباركها في الحفل:

يا القابلة يا السوسية
كل ما سديت شوية
نقوم نهار السبت نخرجك مكسية
يا القابلة يا المقبولة
يا المبشرة يا ميمونة
بشرني الله يعطيك الخير
نعطيك حاجة مضمونة⁴⁴

وبعد تقديم الطعام يبدأ الفصل اللاحق المتعلق برواية الحكايات الأسطورية ذات الصلة بالمناسبة، تتولى سردها امرأة معروفة في هذا المقام، وفي الوقت نفس يبدأ التحضير لطقوس الغد لإقامة حفل الختان.⁴⁵

المرأة اليهودية والأعياد الدينية

إلى جانب المكون السوسيو-الثقافي الذي برزت فيه المرأة باعتبارها "نصف المجتمع" كما هو معروف في جل المجتمعات الانسانية، فإن المرأة اليهودية قد اضطلعت بأدور لا تقل أهمية في الحياة الدينية لمجتمعها سواء تعلق الأمر بالجانب التعبدي أو بالمشاركة في الطقوس الاحتفالية بمناسبة الأعياد اليهودية الكبرى.

43. نفسه، 51.

44. من الأغاني اليهودية المغربية المعروفة المجهولة المصدر، وتسمى أغنية "القابلة" ترددها النساء عند إقامة العقيقة أو "السبع"، خصوصا إذا كان المولود ذكرا.

45. نفسه، 356.

وأول ما نذكره في هذا الصدد هو اهتمام اليهود بالقدسين، أو ما يصطلح عليه بالصدّيقين اليهود والزيارة الدائمة لمدافنهم بغية التبرك، وما يهمننا في هذا الشأن هو وصول عدد الصدّيقين اليهود في المغرب إلى 652 صدّيقا توجد ضمنهم 25 امرأة.⁴⁶ وليس في الأمر ما يثير العجب، لأن يهود المغرب قد يدرجون أيضا ضمن لائحة أوليائهم صلحاء من المسلمين، وربما حظي هؤلاء في بعض الأحيان بدرجات من التقديس أو بما هو أكثر، بل كانوا محط نزاع بين اليهود والمسلمين، مما يدل على أن المرأة تظل مقدسة على الأقل في هذا الإطار، مثلها مثل الرجل، وأن جل التلموديين قد آمنوا بكراماتهم. ومما تجدر الإشارة إليه، أن اليهود المغاربة ممن اختاروا الهجرة إلى إسرائيل، لم يفرطوا في هذه الممارسة داخل الأراضي التي باتوا يعيشون فيها، بل وعملوا على ضمان استمراريتها بصفة فعلية إلى اليوم وفقا لنفس الطقوس والتقاليد.⁴⁷

أما إذا انتقلنا إلى نماذج من بعض الشعائر الاحتفالية مثل عيد الفصح وعيد سكوت (المظلات) وعيد شفعوت (الأسابيع) والاحتفاليات الخاصة بيوم السبت، ولعل عيد الهيلولا هو أهمها بامتياز باعتبارها عيدا يهوديا محليا خاصا بالمغاربة، فسنركز من هذه الزاوية على أدوار المرأة اليهودية في الاحتفال بها.

وتسهر النساء على إعداد الطعام في عيد سكوت، ويتمثل في أكلة رئيسية خاصة هي الكسكس، وخصوصا في المدن الكبرى. أما في مناطق الأطلس الأمازيغية، فإن نسوة اليهود قد تجتهدن في إعداد أكلة معروفة في هذا الوسط، يسميها اليهود الأمازيغ "تلخشه"، أو ما يطلق عليه اليوم في العامية بأكلة "البيصارة"، وهي حساء من فول كثيف يسقى بزيت الأركان.⁴⁸ ويقام عيد شفعوت أيضا في البيوت،

46. الزعفراني، ألف سنة من حياة اليهود، 32؛ وانظر أيضا ما يلي:

Norman A Stillman, "Saddiq and Marabout in Morocco," in Issachar Ben-Ami (dir.), *The Sephardi and Oriental Jewish Heritage Studies*, 485-500 (Jerusalem: Magnes Press, 1982); Issachar Ben-Ami, "The Folk-Veneration of Saints Among Moroccan Jews, Traditions, Continuity and Change: The Case of the Holy Man, Rabbi David u-Moshe," in S. Morag, I. Ben-Ami and N. Stillman (dir.), *Studies in Judaism and Islam*, 283-345 (Jérusalem: The Magnes Press, 1981).

47. انظر كتابات إيشار بن عمي وبورام بيلو في موضوع تقديس اليهود المغاربة للصدّيقين في المغرب وإسرائيل بين الأمس واليوم:

Issachar Ben-Ami, *Saint Veneration Among the Jews in Morocco*, (Jerusalem: The Magnes Press, 1984), (en hébreu); Yuram Billu, "Reconfigurer le sacré: le culte des saints juifs marocains en Israël," *Archives Juives* 2, 38 (2005): 103-123.

48. الزعفراني، نفسه، 254.

فيقع الترحيب بمشاركة الأطفال في جلساته الدينية. وتقام الولائم بتقديم طبق من "الشعرية" يتم إعداده قبل العيد بأسبوع، بعد تفتيل عجين القمح فوق الغربال لتصنع منها النساء اليهوديات "شعرية" خاصة، تترك لتجف وتفك أو اصرها قبل ليلة العيد، وتطبخ يوم الغد في مرق من لحم الخروف لتناول وجبة الغذاء، وفي مأدبة العشاء يتم تقديم "الشعرية" الممزوجة بالقرفة والسكر وعقيد من البصل والزبيب.⁴⁹ وبعد ذلك توزع الحلوى والفواكه المجففة مصحوبة بكؤوس الشاي أو القهوة على الحضور، في أجواء مفعمة بالفرح وتلاوة الترانيم الدينية، وقد تستمر مثل هذه الطقوس إلى طلوع الفجر.

وفي عيد الفصح، يتولى النساء والأطفال معا فحص القمح وتنقيته حبة حبة، حتى يكون إعداد رغيفه ملائما لتلك المناسبة، وتشترك جميع النساء اليهوديات في أعمال تنظيف البيت،⁵⁰ وطلاء الجدران بالجير وتلميع الأبواب والنوافذ، كما تقمن بتغيير الأواني أو إعادة تطهيرها بالماء المغلي، وهذا تطبيقا لتعليمات شريعة الطهارة اليهودية، أو ما يسمى بـ "الكشير" في المغرب.⁵¹ وينتهي الأمر بإعداد رغيف الفصح، باعتباره نقطة مهمة وذات دلالات، ويسميه اليهود "المصوت" بلغتهم، ويعرف في اللهجة المغربية الدارجة "الرغايف". وبعد عملية العجن، يترك لما يكفي من الوقت حتى يختمر، فيتم بعدئذ طهيهِ في فرن ينظف بطريقة شعائرية. ويستعد جميع اليهود، ذكورا ونساء، لاستقبال يوم عيد الفصح بثياب جديدة ونظيفة، فتسمى ليلة استقبال الفصح بـ "السدر"، وتتجسد في 14 طقسا، وتعد قراءة "الهكدة"⁵² أهمها على الإطلاق، لأنها قد تهيمن على ما جريات الاحتفال بأكملها.

ويتضح مما سبق استعراضه في هذا المقال، أن المرأة المغربية اليهودية لم تكن حياتها بتاتا على هامش المجتمع واهتماماته المركزية خلال الحياة اليومية، بل إنها على

49. نفسه، 250.

50. نفسه، 250.

51. نفسه، 237-238.

52. وهو تقليد موصوف في الشريعة اليهودية (الهالاخا) متعلق بليلة الفصح التي تحكي قصة خروج اليهود من مصر. والهكدة في الأصل باللغة العبرية لغة العبادة، ونظرا لعدم إلمام المرأة والطفل بهذه اللغة الخاصة بالرجال فقد تم ترجمتها إلى اللهجات المحلية تبعا للمجالات الجغرافية كاللغة العربية والقشتالية القديمة بالنسبة للموريسكين، والأمازيغية عند يهود الأطلس. وتتمتع بشعبية كبيرة لم تحظ بها بقية النصوص الدينية الأخرى، كما أن لها انتشارا هائلا في أوساط المجموعات اليهودية المغربية.

الرغم من استمرارها في الخضوع إلى التقاليد العبرية الصارمة، على الأقل إلى حدود ستينيات القرن التاسع عشر، تاريخ ظهور أول مدرسة عصرية للرابطة اليهودية العالمية في المغرب، بل وإلى سنة 1912، تاريخ خضوع المغرب إلى الحماية الفرنسية والإسبانية، فقد ظلت وفيه للاضطلاع بأدوارها الرئيسية المعهودة لديها في الحياة الاجتماعية والثقافية والدينية داخل الطوائف اليهودية بالحوضر والبوادي على حد سواء. ومن ثم، فقد اعتبرت ركيزة أساسية داخل الطائفة اليهودية بكل ما تحمله هذه الكلمة من المعاني. وكما لاحظناه من خلال المصادر الأساسية التي اعتمدها في هذا المقال، فإن المرأة اليهودية لم تكن مغيبة بالكامل في طيات هذا التاريخ، وأن الدراسات الحديثة الأجنبية منها أو المحلية، وبكل تخصصاتها، قد استمرت في الاهتمام بدراسة الجوانب الاقتصادية والسياسية، لكنها بدأت تطرح بإلحاح بعض التساؤلات المتعلقة بوضعية المرأة ومكانتها الاجتماعية، سواء في مرحلة الحماية وبداية الاستقلال في البلاد المغاربية، بل وحتى في الدول الأوروبية التي استقبلت المهاجرين اليهود مثل فرنسا.⁵³

وتجدر الإشارة إلى أهمية القيام بدراسة مقارنة لوضع المرأة المسلمة واليهودية خلال مختلف الفترات التاريخية، إذ يبدو واضحا أنه باستثناء الاختلاف الموجود على مستوى العقيدة بين الطرفين، فإن أوجه التشابه لا يمكن إلا أن تكون كثيرة على المستوى الاجتماعي، وأن لا تخلو من عوامل التأثير والتأثر بين عالم النسوة اليهوديات والمسلمات، خصوصا تلك التي تفرضها العادات والتقاليد المحلية في إطار العرف المحلي، وما يتعلق منها بنظام الزواج والطلاق نسيبا، وهذا موضوع آخر في حاجة إلى البحث والتنقيب لتسليط الضوء على مازال يكتنفه كثير من الغموض ونقاط الظل في تاريخ المغرب الحديث والمعاصر.

53. في سياق الاهتمامات المعاصرة بالموضوع في حقل الدراسات الأدبية، انظر ما يلي: Ewa Tartakowsky, "Femmes du Maghreb. Images et souvenirs en littérature," *Hommes et migrations*, 1299, (2012): 113-121.

Bibliographie

- Antony, Bernard. *Histoire des juifs d'Abraham à nos jours*. Paris: Éditions Godefroy de Bouillon, 2007.
- Ayache, Germain. "Al-'aḳalliyya al-yahūdiyya fī Maghrib mā qabl al-'isti'mār." Ta'rīb muhammad al-'amīn al-bazzāz wa 'abd al-'azīz al-ttamsmānī khallūq. *Dār al-Niyyāba*, 12 (1986): 6-28.
- Balhoul, Joëlle. "The Sephardic Jew as Mediterranean: A view from kinship and gender." In *Journal of Mediterranean Studies* 4 (1994): 197-207.
- Bashīr, 'Abd al-Rahmān. *Al-Yahūd fī al-Maghrib al-'Arabī*. Al-Qāhira: Manshūrāt 'ayn li-al-ddirāsāt wa al-buḥūth al-ijtimā'iyya wa al-'insāniyya, 2001.
- Ben-Ami, Issachar. "The Folk-Veneration of Saints Among Moroccan Jews, Traditions, Continuity and Change: The Case of the Holy Man, Rabbi David u-Moshe." In *Studies in Judaism and Islam*, S. Morag, I. Ben-Ami and N. Stillman (dir.), 283-345. Jérusalem: The Magnes Press, 1981.
- _____. *Saint Veneration Among the Jews in Morocco*. Jerusalem: The Magnes Press, 1984. (en hébreu).
- Billu, Yoram. "Reconfigurer le sacré: le culte des saints juifs marocains en Israël." *Archives Juives* 2, 38 (2005): 103-123.
- Bourdieu, Pierre. "La domination masculine." In *Actes de la recherche en sciences sociales*, 84, 1(1990): 2-31.
- Bourqia, Rahma. "vol, pillage et banditisme au Maroc du XIX^{ème} siècle." *Hespéris-Tamuda* XXIX 2 (1991): 191-226.
- Crapanzano, Vincent. "Saints, Jnun, and Dreams: an Essay in Moroccan Ethnopsychology." *Psychiatry* 38 (1975): 145-159.
- Delouya, Arrik. *Les juifs du Maroc: bibliographie générale: résumés, annotations, recensions*. Paris: Librairie orientaliste Paul Geuthner, 2001.
- Donath, Doris. *L'Evolution de la femme israélite à Fès*. Aix-en-Provence: Publications des Annales de la Faculté des lettres, Aix-en-Provence, la pensée Universitaire, Travaux et Mémoires, 1962.
- Eisenbeth, Maurice. *Les juifs de l'Afrique du Nord: démographie et onomastique*. Alger: Impr. du Lycée, 1936.
- Flamand, Pierre. "Quelques renseignements statistiques sur la population israélite du Sud marocain." *Hespéris* XXXVII (1950): 363-397.

- Goldberg, Harvey. "The Mellahs of Southern Morocco: Report of a Survey." *The Maghreb Review*, vol. 8, n^{os} 3-4 (1983): 61-69.
- Goulevin J., *Les Mellahs de Rabat-Salé*. Paris: Éditions librairie orientaliste Paul Geuthner, 1927.
- _____. "Notes sur les origines anciennes des israélites du Maroc." *Hespéris* I (1921): 315-336.
- Hazan, Ephraïm. "L'image de la femme dans la poésie hébraïque d'Afrique du Nord." In *Présence juive au Maghreb: hommage à Haïm Zafrani* / [Abitbol Michel, Ayoun Richard, Bouganim Ali, et al.]; éd. par Nicole S. Serfaty. 467-477. http://www.akadem.org//sommaire/colloques/hommage-aux-maitres-du-judaisme-marocain/la-femme-juive-marocaine-vecteur-de-transmission-27-03-2008-7235_4176.php.
- Kenbib, Mohammed. *Yahūd al-Maghrib 1912-1948*. Tarjamt Idriss Ben Said. Rabat: Manshūrāt kulliyat al-ādāb wa al-‘ulūm al-‘insāniyya, 1998.
- Les Juifs du Maghreb et d'Al-Andalus*. Bibliographie. Préface Frédéric Abécassis et Karima Dirèche Mars 2010. <http://bibmed.mmsh.univ-aix.fr/2>.
- Lévy, Simon. "Le peuplement juif d'Essaouira et son parler." In *Essaouira: mémoire et empreintes du présent* (Actes des journées d'études, 26-28 October 1990, Agadir) 51-59. Agadir: Publications de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, 1994.
- Malka, Elie. *Essai sur la condition juridique de la femme juive au Maroc*. Paris: Libr. générale de droit et de jurisprudence, 1952.
- Sa'ūd, 'Abd al-'Azīz. *Tiṭwān fī al-Qarn al-Thāmin 'Ashar, al-Sulṭa al-Mujtama' al-Dīn*. Tiṭwan: jam'iyyat Tiṭāwīn 'Asmīr, 2007.
- Schroeter, Daniel. "La découverte des Juifs berbères." In *Relations judéo-musulmanes au Maroc: perceptions et réalités*, édité par Michel Abitbol, 169-187. Paris: Éditions Stavit, 1997.
- Sebti, Abdelahad. "Ztata et sécurité du voyage: un thème de pratique judiciaire au Maroc." *Hespéris-Tamuda* XXX (1992): 37-52.
- _____. *Bayna al-Zaṭāt wa Qāti'i al-Tarīq. 'Amn al-Turuq fī Maghrib mā Qabl al-'Isti'mār*. Al-Dār al-Baydā': Dār Tubkāl li al-Nashr, 2009.
- Simon, Rachel. "Between the family and the outside world. Jewish girls in the modern Middle East and North Africa." in *Jewish Social Studies* n^o 7.1 (2000): 81-108.

- Stillman, Yedida Kalfon. "Attitudes des femmes musulmanes et juives marocaines à l'égard de la féminité et de la modernité." In *Relations judéo-musulmanes au Maroc: perceptions et réalités*. [actes] du colloque tenu en octobre 1995/organisé par le Centre international de recherche sur les juifs du Maroc, Michel Abitbol ed; 237-246. Paris: Éditions Stavit, 1997.
- Stillman, Norman A., "Saddiq and Marabout in Morocco," in Issachar Ben-Ami (dir.), *The Sephardi and Oriental Jewish Heritage Studies*, 485-500. Jerusalem: Magnes Press, 1982.
- Tartakowsky, Ewa. "Femmes du Maghreb. Images et souvenirs en littérature." *Hommes et migrations*, 1299, (2012): 113-121.
- Toledano, Shmuel. "La femme juive marocaine, vecteur de transmission" (53 min), dans le cadre des Journées du Judaïsme Marocain-Hommage aux Maîtres du Judaïsme Marocain organisées du dimanche 3 février au dimanche 17 février 2008 par le Centre Communautaire de Paris et le Centre du judaïsme marocain-France. Voir http://www.akadem.org/sommaire/colloques/hommage-aux-maitres-du-judaisme-marocain/la-femme-juive-marocaine-vecteur-de-transmission-27-03-2008-7235_4176.php.
- al-Zu'frānī Ḥayyīm, 'Alf Sana min Ḥayāt al-Yahūd bi al-Maghrib, *Tārīkh Thaqāfa, Dīn*. Tarjamat 'Ahmad Shaḥlān wa 'Abd al-Ghaniy 'Abū al-'Azm. al-Dār al-Bayḍā': Dār Qorṭoba, 1987.

ملخص:

Al-mar'a al-yahūdiyya fi Maghrib mā qabl al-ḥimāya

المرأة اليهودية في مغرب ما قبل الحماية

حاولنا في هذه المساهمة تسليط الضوء على بعض الجوانب الأساسية من حياة المرأة اليهودية في مغرب ما قبل الحماية، والتي تردت الأقوال كثيرا في حقها باعتبارها عنصرا غير فاعل في مجتمعات الطوائف اليهودية. هذا في حين أنها تمثل في الواقع، وكما تشهد بذلك أنشطتها المتعددة في الحياة اليومية إحدى الركائز الأساسية والحيوية داخل الطائفة اليهودية، سواء في ما يؤطره الدين أو القانون أو العرف، بالإضافة إلى مشاركتها الأساسية في إحياء الاحتفالات الدينية والعائلية، ومن ثم فإنها لم تكن غائبة عن المساهمة في الحياة الاجتماعية بمختلف مظاهرها، وأن تغييرها سابقا في الدراسات التاريخية قد انتهى فصارت اليوم من المواضيع التي تستقطب اهتمام المؤرخين والاثربولوجيين على حد سواء.

الكلمات المفتاحية: المرأة اليهودية، المغرب، مغرب ما قبل الحماية، الزواج، الطلاق، الأعياد الدينية، الطقوس الدينية.

Résumé: La condition de la femme juive dans le Maroc précolonial

Nous avons essayé dans cette contribution de mettre en évidence certains aspects fondamentaux de la vie de la femme juive marocaine avant 1912. On a souvent avancé que le rôle de la femme juive marocaine au sein de sa communauté a été souvent occulté. Cependant, et comme en témoignent les diverses activités de la femme dans la vie quotidienne, elle constitue, au contraire, l'un des piliers de sa communauté. Les textes religieux hébraïques s'intéressent de très près à la situation de la femme et déterminent son rôle comme élément clé au sein de la communauté juive. Si la condition de la femme juive marocaine était négligée auparavant par les historiens plus intéressés par l'étude de l'économie et des événements politiques, des études historiques et anthropologiques récentes accordent désormais une importance de plus en plus grande à la condition de la femme juive marocaine dans toutes ses dimensions.

Mots clés: femme juive, Maroc, Maroc précolonial, mariage, divorce, fêtes religieuses.

Abstract: The condition of Jewish women in pre-colonial Morocco

We have tried to highlight, some fundamental aspects of the life of Moroccan Jewish women before 1912. It has often been argued that the role of Jewish Moroccan woman in her community has often been hidden or neglected. However, as the various activities of women in everyday life show, that she was one of the main pillars of its community. Furthermore, Hebrew religious texts dealt extensively with the situation of the Jewish women and determine their role as key element in the Jewish community. While the condition of the Moroccan Jewish woman was neglected earlier by historians more interested in the study of economics and political events, recent historical and anthropological studies are now placing increasing emphasis on the status of Jewish Moroccan women in all its dimensions.

Key words: Jewish woman, Morocco, pre-colonial Morocco, marriage, divorce, religious ceremonies.

Resumen: La condición de las mujeres judías en Marruecos precolonial

Hemos tratado en este documento para poner de relieve algunos aspectos fundamentales de la vida de la mujer judía marroquí antes de 1912. A menudo se ha argumentado que el papel de la mujer judía marroquí dentro de su comunidad fue a menudo oscurecida. Sin embargo, como se evidencia por las actividades de las distintas mujeres en la vida diaria, es, en cambio, un pilar de su comunidad. Los textos religiosos hebreos interesaban muy de cerca la situación de las mujeres y determinar su papel como elemento clave dentro de la comunidad judía. Si la condición de la mujer judía marroquí fue oscurecido previamente por historiadores más interesados en el estudio de los acontecimientos económicos y políticos, los estudios históricos y antropológicos recientes ahora dar cada vez más importancia a la situación de la mujer marroquí judía en todas sus dimensiones.

Palabras clave: mujeres judías, Marruecos, Marruecos precolonial, matrimonio, divorcio, ceremonias religiosas.